JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ
العدد السابع
(٤٧ )- (٦٦ )

# من القوة الى التحقق
## دراسة في فلسفة ابن رشد

ا.م.د سامي محمود ابراهيم الجبوري
جامعة الموصل / كلية الآداب
Sami.m.i@uomosul.edu.iq
D_sami80@yahoo.com

**ملخص البحث**

يعد موضوع القوة والتحقق عند ابن رشد من اهم واعقد المواضيع الفلسفية، ولم يزد على الرغم من كثرة الدراسات فيه الا سعة وشمول، فهو اشبه بموضوع العقل وتحول المعارف فيه، ولا غرابة في ذلك بل ان هذا هو الوصف الملازم لجميع امكانات التحول في الوجود.

يدور هذا البحث حول الية فهم الطبيعة ومبادئها المؤسسة للوجود وفقا للتصور الرشدي، فقد قدم هذا الأخير فلسفة متكاملة تبدأ من القوة "والامكان" وتنتهي الى "التحقق" والفعل معتبرا هذا الانتقال سنة كونية، لذلك شكل مفهوم القوة وصيرورتها الفاعلة في التحقق أحد أهم النظريات التي أثارت نقاشا واسعا في الفلسفات اليونانية والاسلامية، الأمر الذي يعكس الأهمية البالغة التي احتلها موضوع القوة في الفكر الفلسفي.

وهدفنا في هذا البحث أن نقدم نظرة واضحة لفلسفة ابن رشد فيما يتعلق بسببية القوة وامكانية التحقق الوجودي، كما سنقوم بإعطاء الأبعاد التي يتضمنها الوجود بهدف فهمها وتصورها على الوجه الأمثل والاكمل. مستخدمين في ذلك منهج التحليل الفلسفي والمنهج النقدي والتاريخي.

وهناك مجموعة من التساؤلات كانت مدار اهتمامنا في اختيار موضوع البحث، تدور كلها حول مكانة ابن رشد في الفلسفة العربية الإسلامية، مثل كيفية انتقال الموجودات؟ وما هي حقيقة الامكان والتحقق ؟ وغيرها من التساؤلات.

وفي هذا البحث سنحلل أبعاد التصور الرشدي للقوة واليات التحقق، والتي تمثلت في دراسته للوجود، مما ساعد على كشف العديد من المسائل المتعلقة بالفعل والانفعال، بالقابلية والية التحقق وطلب

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

الاستكمال. هذا فضلا عن ان مفهوم القوة عند ابن رشد يؤسس لمسألة جوهرية وهي مسألة الاتصال بين اجزاء الوجود.

**الكلمات المفتاحية:** القوة، التحقق، الامكان، الفعل، الامكان، التغير، المادة، الصورة.

## From Power to Realization: A Study of Ibn Rushd's Philosophy

**Dr. Sami M. Ibrahim Al-Jubbory**
**Faculty of Arts/ Mosul University**
Sami.m.i@uomosul.edu.iq
D_sami80@yahoo.com

**Abstract:**

Power and realization are one of Ibn Rushd's sophisticated and significant philosophies, and although various studies have been authored in this area, they became broader and more comprehensive. Given the similarities between power and realization with mentalism, these two aspects have been prominent issues in philosophical investigations. This paper, therefore, attempts an Averroes-based understanding of nature and its founding principles, for Ibn Rushd proposed a power-inspired philosophy, one that is a universal continuum of power or empowerment through realization or action. The concept of power, along with its realizable entity, accordingly, has proved to be the most controversial theme in Greek and Muslim philosophies, which is why it mattered well in philosophical settings. This paper aims, also, at revealing Ibn Rushd's stance on causality, realization, unfolding existence rationality, and critiquing problematic issues following historical-critical methodologies. It, additionally, draws on this philosopher's achievements in existentialism and logic. Several issues have been questioned in this respect, including Ibn Rushd's position in Muslim and medieval scholarships, existentialism, transfiguration, the very concept of existence and realization, as well as other issues.

**Keywords:** Realization; Power; Change; Image; Existentialism; Rationality; Ibn Rushd; Medieval philosophy.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

**المقدمة:**

إن السير إلى باطن الوجود هو أقصر من أن نقطعه بحواسنا، وأبعد من أن نبلغه بأفكارنا. وبما أن الفلسفة عند ابن رشد هي فن الالتفاف على كثافة الوجود للنفوذ إلى حقيقة الاشياء والافعال، فإن جدلية العلاقة بين طرفي الوجود الكامن والمتحقق تكمن في أنه لا يمكن إدراك فكرة أحدهما، من دون المرور إليها عبر فكرة الآخر. فما جدوى الطبيعة إذا لم تبحث في الماهية، وكيف لنا، ونحن لسنا كائنات نافذة في العالم، أن نفهم ماهية الطبيعي وما بعد الطبيعي بعيدا عن ما ورائيات العقل الناظرة في عمق الاشياء والموجودات؟!

وتكمن أهمية الموضوع في حقيقة انه يمثل المحور الذي يدور حوله فكر ابن رشد وخاصة في المجالين الطبيعي والالهي، فهو يتسم بالغنى والخصب كونه يسلط الضوء على الية فعل التحول الكامن في المادة الى مستوى التحقق، والتي تعتبر الجديد الذي أتى به ابن رشد محاولا من خلالها تقديم إجابات عن المسائل التي بقيت كإشكاليات معلقة، كإشكالية " المادة التي بالقوة توجد لجميع الاجسام".

وهدفنا الرئيسي في هذا البحث يرمي إلى إبراز حقيقة الوجود السائل والمتنقل من القوة الى التحقق والفعل وتجلياته التي تميز بها ابن رشد، ومقارنة ذلك بما قدمه ارسطو وبعض الفلاسفة المسلمين. كما يهدف أيضا إلى فهم فلسفة الطبيعة ومبادئها ووضعها في إطارها الفلسفي الصحيح، إذ إن فصل الفروع عن الأصول يؤدي إلى فوضى في المنهج. الأمر الذي يجعلنا أمام صعوبات الجمع والتصنيف وتقدير الصالح منها للفحص النقدي، آخذا بعين الاهتمام تنوع تجربة الاكتمال والتحول الوجودي وطابعها الغائي.

كان للدراسات التي أسهم في تطويرها العديد من الأساتذة العرب، وخاصة في فلسفة الطبيعة، اكبر الأثر في اختياري لموضوع البحث، وهو موضوع جديد لم يبحث بعد في الدراسات العربية المتخصصة على نحو تفصيلي دقيق، حسب علمي. فمعظم الدارسين والباحثين قد اتجهوا في الأغلب إلى دراسة القوة والتحقق دراسة جزئية. فهذه الدراسات مع انها قيمة ومفيدة وقد أفادتنا كثيرا، إلا اننا نعتقد ان البحث في الطبيعة ومبادئها يتطلب البدء والوقوف على الكثير من المسائل الفلسفية كالطبيعة وما بعدها، والمادة والصورة، والفعل والانفعال وما يتعاقب عليهما من صيرورة وتغير يهدف الى الكمال، وهنا تكمن الغائية التي تسري في الطبيعة كما تسري في الميتافيزيقا لذلك فالبحث فيه مهم للغاية. وعليه نبدأ محاولتنا هذه التي سيتضح من خلالها النظام الغائي للوجود وضرورته وانتظامه، فالتحقق والكمال ابرز صفات هذا الوجود.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

ولعل ما تقدم ذكره يبين البواعث الأساسية التي دعتني إلى دراسة هذا الموضوع. وبناء على ما تقدم أوزع البحث بعد هذه المقدمة، على تحديد مفاهيم الفعل والانفعال، القوة والفعل، وكشف القيمة الحقيقية لمبادئ الموجودات وتجلياتها. كما سأتناول جدلية الغياب والحضور في فلسفة المادي والصوري لدى ابن رشد. وقد فرضت قيود المنهج استكشاف الأصول الأساسية في فلسفة ابن رشد لمسألة القوة والامكان والية عمل النظام الغائي في الطبيعة في سبيل استبيان مدى شمول فكرة التحقق والفعل وإحاطتها بكافة جوانب الفلسفة الرشدية. كما سنميز في هذا البحث بين وجودين: وجود افتراضي ووجود مادي متحقق. ايضا تناولت مسالة التغير، وبيان أهم مدلولاته والمعاني المتكثرة فيها.

لقد قدم ابن رشد من خلال القوة والفعل فلسفة شاملة تبدأ من الوجود المحسوس وتنفذ الى أغوار الطبيعة بأقصى ما تستطيع من التحليل والتفسير، في نظام محكم من الرؤى والتصورات حول الية فعل الوجود.

وفي هذا البحث سنحلل أبعاد التصور الرشدي للقوة واليات التحقق، والتي تمثلت في دراسته للوجود، مما ساعد على كشف العديد من المسائل المتعلقة بالفعل والانفعال، بالقابلية والية التحقق وطلب الاستكمال وتوضيحها واتصال بعضها بالبعض الاخر. هذا فضلا عن ان مفهوم القوة عند ابن رشد يؤسس لمسألة مهمة جدا وهي مسألة الاتصال بين المادة والصورة.

وهذا ما يعطي أبعادا جديدة للمنظومة اليونانية الارسطية وابراز ما هو كامن فيها من امكانات الضبط والاتساع وشمول النظرة الوجودية وفق قصدية طلب الاكتمال، او بما يتصل ويتعلق بهذه المسائل من قريب أو من بعيد. فقد أهتم ابن رشد اهتماما بالغا بتفسير هذه الجوانب معبرا عنها بمبادئ الوجود ومقومات الطبيعة.

وما يهمنا في هذا المجال، هو القول بأن اتجاهه الغائي في دراسة الوجود قد أفاده في تفسير الكون والعالم، كذلك أفاده في كشف العوامل الماورائية التي تؤثر على الطبيعة، فهي وفقا لتصوره كائن حي خاضع لمبدأ القوة وآليات التحقق الفعلي. فابن رشد في البداية يبحث الطبيعة وما يتعلق بها من مفاهيم ومعاني عديدة وينتهي الى انها تمثل تكاملية التحقق والاتصال والتفاعل على اساس تلك المعاني التي أشرنا اليها. ثم بعد ذلك يبحث الطبيعة ذاتها، خصائصها ولواحقها وينتهي بعد ذلك الى البحث في تفسير الفعل القائم على الانفعال. ولذلك لو أردنا البحث عن أسس وجذور الوجود عند ابن رشد فلا بد أن نضع في الاعتبار امكانية القوة وتحقق الفعل لأنه يلجأ الى هذه العوامل في تفسير كل جوانب فلسفته في الخلق والكون بل وسائر ما يتعلق بنظرية المعرفة من تحولات المحسوس والمعقول .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

نود كذلك أن نشير الى ان ابن رشد إذا كان قد أختلف مع من سبقه حول بعض الآراء التي توصلوا اليها، فان هذا الاختلاف ناتج عن تفسيره لمنظومة الفعل والانفعال وطبيعة عمل كل مبدأ من هذه المبادئ والكيفية التي يتم بها التفاعل بينها، أي التأثر والتأثير " الفعل والقبول ".

وهذا يعني أن آلية الاتصال والتفاعل بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل ممثلة تمام التمثيل في فلسفة ابن رشد بصورة لا يعوزها الوضوح، بحيث اصبحت نسقية الاستعداد والتكامل ظاهرة تماما في كل جوانب فلسفته تحت عنوان" القوة والتحقق". ففي هذا الصدد نجد ان مفهوم القوة والفعل بلغ من الاتساع الى الحد الذي جعله من ابرز خصائص العالمين الطبيعي والماورائي.

لذلك نسعى في هذه الدراسة الى بيان الافكار والمواقف الجديدة والمؤثرة التي خرج بها ابن رشد وهو يؤسس نظرية متكاملة في الوجود عنوانها "القوة والتحقق" يتضح من خلالها:

1- النظام العقلاني للطبيعة وضرورته وتكامله وفقا لآلية الاستعداد بالقوة والتحقق بالفعل.
2- قدم العالم وفقا لإمكانية قدم مادته التي وجدت اولا بالقوة كلحظة وجودية لم تتعين بعد.
3- الوجود عبارة عن انتقال وتفاعل، استعداد وقابلية، تحقق واستكمال ما بين القوة والفعل.
4- التفرقة بين الوجود والعدم، فالكون باسره في حالة صراع دائم بين مبدأين هما: القوة الدافعة الى الوجود، والقوة الدافعة الى العدم، وفي هذا الصراع يتحقق النصر لصالح الوجود العام، لصالح هذا النظام الكوني العجيب القائم على التحقق والاكتمال.
5- هناك تدرج في تفكير ابن رشد نحو التصور السائل للطبيعة والبعد عن التصور الجامد لها والذي يمكن ملاحظته عند دراسة الامكان الكامن في ما بالقوة وطلبها المستمر الى التحقق والوصل الى صورة ما بالفعل.

وهنا نلاحظ ان هدف الدراسة يستتبع أهدافا أخرى، فسنضطر في دراستنا الى تفسير بنية الاجسام الطبيعية ان نعرض الى اثبات وتحقيق رأي ابن رشد في اصل وطبيعة المادة وقابليتها لان تتشكل بالعديد من الصور.

ولعل ما تقدم ذكره يبين البواعث الاساسية التي دعتني الى دراسة هذا الموضوع.

وقد اقتضت دراستي هذه أن اقسم البحث على اربعة مباحث مع مقدمة فضلا عن خاتمة .

يبحث الاول فيها معالجة ابن رشد لمفهوم القوة وأهميته في مسألة الوجود، كما يدرس العوامل الرئيسة التي فرضت تعامل ابن رشد مع الوجود "كاستعداد وتحقق" والتي ابرزها في ثنايا البحث.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

أما الثاني: فقد تناول مفهوم الفعل واهميته في رسم معالم التحقق والصورة. وقد فرضت قيود البحث استكشاف الاصول الاساسية في فكر ابن رشد لمسألة التغير في سبيل استبيان مدى شمولها واحاطتها بكافة جوانب الفلسفة. ومن هذه الاصول فكرة الصورة وانها مبدأ الفعل بالنسبة للمادة التي يكمن فيها ما بالقوة، وهو هنا يعني امكانية الوجود.

الثالث: درس تحديد مجال العلاقة بين القوة والفعل وسبل تحقيق الوجود، كما تناول مسالة العدم واهميته في كشف نوع الوجود الذي تطلبه الاجسام، وكيف انه نوع من الاستكمال والتحقق للموجود في حالة انتقاله المستمر من القوة الى الفعل. اما الرابع: فيبحث في الهيولى وامكانية تمثل الصور وفقا لاستعداد ما بالقوة. ذلك ان نقطة الانطلاق في تفكير ابن رشد هنا هي ضرورة التمييز بين القوة والفعل بين المادة والصورة. إذ بدون هذا التمييز يستحيل أي نوع من الوجود على الاطلاق. وقد ختمنا البحث بعدد من النتائج، نأمل ان تكون منسجمة مع مجريات البحث.

## المبحث الأول: القوة ومبدا الامكان

يرى ارســـطو ان الموجودات الطبيعية كامنة في الحقيقة والذهن معا، وجميعها تتركب من قوة وفعل، مادة وصـــورة. فالوجود إما ان يكون وجودا بالقوة. واما أن يكون وجودا بالفعل. ( ارســـطو: ١٩٦٤، ٩).

وعند ارسطو نجد ان الصورة هي الفعل، أما الهيولى فهي القوة.( فنسك:١٩٣٣، ٣٧٢). فالصورة هي العامل المهم والفاعل في الموجود ، اما المادة فهي خاصية ما هو بالقوة، هي مجرد قابل للصورة "للفعل" ومن ثم فهي لا تمثل سوى أثر ثانوي في وجود الاشياء. ( ابو ريان:١٩٧٦، ١٨٣).

بهذا الاعتبار نجد ان ارســـطو ينظر الى الهيولى باعتبارها " قوة "، إمكانية وجودية تحقق الغاية والهدف، فهي في درجة من الوجود تروم الارتقاء.( ارســـطو: الطبيعة،١٩٦٤، ٧٣). ولهذا فأنها دائما في حال تغير مستمر لا ينتهي من أجل تحقيق غايتها ، أي من أجل تحصيل الفعل والتحقق. اما الصورة فأنها فعل وكمال متحقق.( ابن رشد، التفسير، ١٩٦٧،ج٣، ١٤٧٧). بمعنى ان الصورة تفترض دائما وجود انتقال من حالة القوة " الهيولى" العارية عن الصـــورة ، الى حالة الهيولى المتحققة بالصورة لتمارس طبيعتها وأثرها الوجودي في عالم الكون. ( ابن رشد: التفسير، ج١، ١٢٢).

هذا التغير ما هو الا انتقال الوجود من القوة الى الفعل، لذلك كان التغير عبارة عن فعل غير مكتمل يتجه الى التحقق، مع ذلك لا يتحقق، يبقى في حالة سـيولة وصـيرورة علامتها الاختفاء. ( ارسـطو: الطبيعة، ج١، ١٦٨).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الى هذا الحد سيكون باستطاعتنا ان نلقي نظرة فاحصة على موقف ابن رشد من القوة وتحولاتها الوجودية بل وعلاقتها بالعدم والاستكمال.

ففي البداية يرى ابن رشـــد ان القوة تســـاوي "الهيولى"، تلك المادة القابلة للتحول والصـــيرورة والامكان، هي امكانية التغير في الاشـــياء حتى تصـــل الى مســـتوى التحقق الفعلي.( ابن رشـــد: التفسير،ج٣، ١١٣٥). خاصـة ان القوة عند ابن رشـد تطلق على الذي له فعل بالطبع وفقا لغرض سببي تحت عنوان " كمال ما بالقوة وصولا الى الفعل والغاية.( ابن رشد: التفسير، ج١، ٤٦٧). فالقوة هي الاســـاس المقوم للفعل وتحقيق قصـــدية الوجود.( العبيدي: ١٩٩٥، ٨١). وهكذا يكون الوجود خاضـــع بجميع جوانبه الى فكرة القوة القابلة للتحقق.(ابن رشـــد: التفســـير، ج٣، ١١٠٥). فكل فعل تسـبقه قوة كامنة فيه تلبي ضـرورات التحقق. وهكذا نجد ان المفهوم العام للقوة هو الاسـتعداد والتهيؤ والقدرة الاحتمالية والامكان، بمعنى اخر صريح مباشر هي استعداد الجسم لان يوجد بالفعل والتحقق على شاكلة صورة مميزة وموصوفة. ( ابن رشد:١٩٥٨، ٢٥).

وهذا ما يثبته ويقرره ابن رشد في ان القوة هي ذلك الاستعداد الذي في الشيء والامكان الذي فيه لأن يوجد ويتحقق بالفعل .( ابن رشـــد: ١٩٥٨، ٨٣). وهذا يعني ان القوة تفتقر في وجودها الى الفعل وفق الية نظام النقائض وجدلية الوجود المتحقق.

هذا من جانب، من جانب اخر نجد ان مفهوم القوة عند ابن رشـد يطلق على الشـــيء الذي له قابلية ينفعل بها من شيء آخر يصل به الى الكمال.( ابن رشد: ١٩٦٧، ج٢، ٥٨٢). هذه الرؤية هي ذات الرؤية التي قررها ابن رشـــد لمســـيرة الوجود منذ البداية، أي منذ بداية الامكان وصـــولا الى الغاية والكمال. كأنها قصدية تواكب الفعل الكوني لمسار الوجود والعالم.

الى هذا الحد ايضـا نقرر مع ابن رشـد ان مفهوم القوة يعمم على كل ما في ذاته مبدأ الكون أو الوجود. فالتغير والتكون والصـــيرورة الى أي شـــيء اخر إنما تكون بالقوة لأن الذي يتغير الى العدم مثلا لو لم تكن فيه قوة على العدم لما امكن فيه ان يفسد.( ابن رشد: ١٩٦٧، ج١، ٣٨٤). وهذا ما جعل ابن رشد يفرق بين المعاني المتعددة لمفهوم وصور القوة، اذ يقول: " لنبدأ اولا بتفصيل على كم وجه يقال القوة والفعل، ونعرف الذي يقال منها بالحقيقة والذي يقال منها بغير الحقيقة، بل على طريق الاستعارة ". ( ابن رشد: ١٩٦٧، ج٢، ١١٠٥).

فالقوة حسـب تصـور وفلسـفة ابن رشـد تعني في مجملها ان هناك قابلية للتحول، فهي قابلية أو امكانية الشـــيء لان يصـــير ويتحقق بالفعل على خارطة الوجود. وهكذا يدور الوجود في دولاب

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

الصيرورة والتحول والاستمرارية، صيرورة وجودية منعشة يتضح منها ان القوة تطلق على الامكانيات الموجودة في الشيء او الجسم لأن ينتقل ويتحول باستمرار من حالة الى اخرى تباعا وبدون فصل.

والخلاصة هي ان ابن رشد قد حدد القوى الكامنة في الاشياء والموجودات، والتي اسماها القوة او الامكان، مبينا في الوقت نفسه علاقة المفهوم الحقيقي للقوة بالمفهوم العام للوجود والتكوين، لذلك اطلق اسم القوة على جميع الاشياء والموجودات داخل نسقية فعل الخلق والسببية.( العبيدي: ١٩٩٥، ٨٢). فمن المحال عند ابن رشد ان يتحيز الجسم او "يتزمن" قبل القوة .

وعلى هذا يصح القول بان الية القدرة والتحقق تسري على جميع الموجودات الطبيعية وذلك لما في هذه الموجودات من قوة سببها المادة التي توجد منها وتتشكل بها وفق نسقية الاجسام الطبيعية. ( ابن رشد: ١٩٥٨، ٢٥). فما لم يكن لا يتحقق ابدا، وكأنها مساوقة العدم للوجود هكذا وبكل رتابة تتحقق بلا توقف او انقطاع. والحق الذي نستخلصه من ابن رشد هو ان القوة انما تقال بالحقيقة في الامور الممكنة التحقق والقابلة لان تصير شيئا متعينا في الوجود.( ابن رشد، ١٩٦٧، ج٢، ٥٩٢). لهذا السبب نجد ان الموجود بالقوة عند ابن رشد لا حد له، لأنه عبارة عن عدم خالص مؤهل للوجود على نحو من الاستعداد لقبول شيء ما من الفصل والوصل، والذي هو في النهاية امر بالقوة يشكل جنسه البسيط. فالقوة علة مهمة واساسية من علل الوجود التي تطلبها الموجودات لاستكمال وجودها حتى تخرج من مجرد الاستعداد الى مستوى التحقق بالفعل. والقوة هنا لا تعقل الا بالقياس الى الفعل الذي يخرج اليه. هذا يعني ان امكان وجود الشيء ووجوده متقابلان بل ومتكاملان لرسم لوحة الوجود حسب ما صورها ابن رشد. وخلاصة الموقف ان الوجود موجود من حيث هو كامن في الهيولى بالقوة، كما ان العدم معدوم بقوة خفية كامنة فيه وليس هنالك من يخرجه الى الوجود الا بحالة كمال كامن ينساب ويختفي في دوامة مستمرة لا غاية لها ولا انتهاء.

## المبحث الثاني: الفعل وقابلية التحقق والكمال

يقدم لنا ابن رشد في البداية حقيقة ان الفعل يدل على التمام والكمال، وهو ذات الوصف الذي يقال على العمل. ( ابن رشد: ١٩٦٧، ج٢، ١١٩٣).

ولأجل فهم معنى الفعل لابد من التمييز بين الفعل الذي يصدر عن الطبيعة الجوهرية الاصلية والاصيلة للموجود وبين الفعل الذي نطلقه في اللغة العامة، اذ انه في الحالة الاولى يعبر عن وظيفة الموجود الاصلية وهي كمال القوة وغايته، إذ ان القوة دونه لا معنى لها، ويعني ذلك ان الفعل يعد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

بمثابة المركز الذي تتحرك اليه جميع الموجودات.( ابن رشد: ١٩٨٣، ٢٢). ومن هنا كانت الصورة اسمى انواع الفعل وهي التي تحقق استمرار وجود الموجودات. ( ابن رشد: تهافت التهافت، ١٩٩٩، ٣٤٦).

وهذا ما يؤيده تعريف ابن رشد للفعل، فهو: " عبارة عن كون الشيء لا على الحال الذي فيه موجود بالقوة".( ابن رشد: ١٩٦٧، ج١، ١٥٩). وهنا نجد ان حد الفعل يدخل في تركيبه حد القوة، وان القوة لا يمكن ان تخرج الى الوجود إلا بالفعل، فالفعل هو تمام القوة وكمالها. وهذا يعني ان العلاقة بينهما علاقة وجودية، وهذه العلاقة إنما تتم عن طريق التكامل والاتساق الوجودي لطبيعة الكون والعالم. فاذا كان ابن رشد يدرس القوة والفعل من جهة انها علل للموجودات، فإنه أيضا يمس بفكرته هذه مشكلة التحول في عالم الخلق. واذا كانت القوة تقاس وتعقل بالقياس الى الفعل، فإن هذا يعني انهما متقابلان، بمعنى ان الوجود في فلسفة ابن رشد يقابل الفعل، اما اللاوجود فيقابل القوة.( ابن رشد: ١٩٦٧، ج٢، ١١٢٦). وهكذا فان الانتقال من حالة وجود الى حالة لا وجود، او من حالة لا وجود الى حالة وجود، بالنسبة لابن رشد تعني الصيرورة الوجودية بمفهومها العام.

وبعد أن يبين ابن رشد المعاني المختلفة لكل من القوة والفعل، ينتقل الى اثبات غاية التكامل والاستكمال من خلال التفاعل والتبادل المستمر بينهما.

ومن خلال مبدا القوة والفعل، والكيفية التي يتحول بها الموجود من القوة الى الفعل ، يتضح ان الفعل عند ابن رشد متميز عن القوة ومتقدم عليها؛ لأن القوة متى خرجت الى الفعل وقع السكون. يتضح من ذلك ان الفعل غاية الموجود.( ابن رشد: ١٩٥٨، ٢٦). فالفعل قبل القوة، وهو كمالها. وهنا تظهر أهمية هذا التقدم في تأكيد رأي ابن رشد بشأن العلاقة بين الفعل والانفعال .

ويوضح ابن رشد ذلك بتأكيده على ان التغير لابد له من مغير، وبما ان القوة ليست فيها الكفاية ان تخرج الى الفعل، فلا بد لها من مخرج الى الفعل. فالفعل يتقدم على القوة من جهة كونه سببا فاعليا وغائيا. ( ابن رشد: ١٩٥٧، ٩٠). ويضيف ابن رشد، بانه لو كانت القوة متقدمة على الفعل لوجدت الاشياء من ذاتها. فإدخال السبب الفاعل ضروري لفهم طبيعة التكون والتغير.( كرم: ١٩٧٩، ١٤٢). خاصة ان ديمومة الكون التي يؤمن بها ابن رشد تتطلب وجود الاسباب، ذلك انه اذا لم يكن هناك كون وفساد دائمان فنيت المادة، عليه لا بد من ان يكون هناك شيء ازلي هو السبب في الفعل الدائم. هذا هو تفسير ابن رشد لسبب تقدم الفعل على القوة والذي يبغي من خلاله الوصول الى إثبات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

سبب غائي ليس فيه قوة اصلا وهو بالفعل دائما.( ابن رشد: ١٩٥٧، ٩٦). من هنا يذهب ابن رشد الى القول بأزلية المادة.

فضلا عما ذكرته من النتائج التي توصل اليها ابن رشد في ايهما اسبق الفعل أم القوة ، عندما تبين ان الفعل متقدم بالزمان وبالسببية التي أقرها ابن رشد لتفسير حدوث الاشياء في العالم.

فمن هذا كله، يخلص ابن رشد، الى ان الفعل متقدم على القوة بالزمان والسببية، وان فاعلية الفعل في القوة هي دائما مصدر جميع التغيرات في هذا العالم. فيرى إن القدماء الذين كانوا قبل ارسطو، يرون أن القوة متقدمة على الفعل بالزمان وبالسببية ، ولهذا قال قوم بالخليط وبالأجزاء التي لا تتناهى، وإنما قادهم الى ذلك أنهم لم يشعروا من المبادئ إلا بالمبدأ الهيولاني. ( ابن رشد: ١٩٥٧، ٨٩).

واذا كان ذلك كذلك، فقد تسنى لابن رشد إثبات ضرورة وجود ثلاثة عناصر رئيسة في الوجود هي الوجود بالقوة والوجود بالفعل والفاعل ، طالما ان الشيء بالقوة لا يمكن ان يخرج الى الفعل الا بواسطة الفاعل، ويمكن القول اننا استطعنا ان نحدد معالم نظرية ابن رشد في انتقال الموجودات من خلال هذه المفاهيم التي يعتمدها في تفسير الوجود، هذه المفاهيم هي المادة والصورة والعدم . وهذا ما ستضح لنا في الصفحات القادمة.

## المبحث الثالث: جدل الصيرورة بين القوة والفعل

الموجودات عند ابن رشد كما هي عند أرسطو والفلاسفة المسلمين، صورة ومادة. فالمادة هي الموضوع الاقصى لجميع الكائنات الفاسدة التي ليس فيها شيء من الفعل، وليس له صورة خاصة به لذلك صارت موجودات بالقوة، دون الفعل، فهي لذلك تعرف بالمبدأ الهيولاني لجميع الموجودات التي لا وجود لها بذاتها، بل بالصورة المتعاقبة عليها، فكانت الصورة هي ما تتجوهر به تلك المادة ولا توجد مجردة أو منفصلة الا في الذهن.( ابن رشد، ١٣٣٥هـ،ص٥٩).

بهذا المعنى يذهب ابن رشد الى ان صيرورة الانتقال من القوة الى الفعل هي الاساس الذي من خلاله نفهم عمل الطبيعة ونظام الوجود ومبادئه وكيفية تغيره. فتحول الحار الى البارد، وما يجري في عالمي الكون والفساد، والتغيرات التي تطرأ على المادة من حركة وكثافة وثقل، ما هي إلا وسائل يستخدمها ابن رشد لمعرفة الصيغة التي يتم بها الانتقال من القوة الى الفعل. فتحول الخشب الى كرسي ما هو إلا تحول مادة الكرسي من الكرسي بالقوة الى الكرسي بالفعل. وهكذا فالمادة موضوع الاستعداد ومجموعة الاضداد، فهي ذات كيفية تحمل صنفين من الوجود في سيولة لا تنتهي هما القوة والفعل. فابن رشد إذن يحاول إثبات وجود القوة والفعل والعلاقة بينهما حتى يصل الى ضرورة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

مقارنة اصل الاشياء. ( ابن رشد: التفسير،١٩٦٧، ج٣، ص١١٠٤). فمن المحال ان يكون الشيء بالقوة من كل وجه، وهذا هو حال الهيولى التي صـــفتها بالقوة. بل لابد ان تكون الهيولى قد خرجت بالقياس الى صورة بالفعل. ( ابن رشد: التلخيص، ١٩٥٨، ص٢٥). هذا فضلا عن ان القوة تحتاج الى شـيء موجود بالفعل وذلك لكي تتم عملية خروجها الى الفعل. ولا يحدث ذلك مع الكل، فإن ذلك أيضا يحتاج الى مخرج آخر، وينتهي إلى شيء موجود بالفعل لم يحدث.

فالذي يخرج القوة الى الفعل شـــيء مجانس لذلك الفعل موجودا قبل الفعل، وهكذا فالعالم بنظر ابن رشـــد في تغير مســـتمر بين القوة والفعل، فإيجاد ما يوجد ليس إلا خروجا من القوة الى الفعل، وإعدام ما يعدم ليس إلا رجوعا من الفعل الى القوة، فليس هناك ايجاد من عدم، ولا عدم بعد وجود، وانما كل ما يحدث في الكون إن هو الا انتقال بين طرفين " القوة " و "الفعل".( بيصـــار: ١٩٧٣، ص٧١). ففي رأيه ان انتقال الوجود الى الوجود ليس صـيرورة فهو لا يتضـمن أي تغير، وان انتقال اللاوجود الى الوجود مســـتحيل، لأنه لا يوجد شـــيء من العدم. فبين الوجود والعدم توجد القوة أو الامكان. ( ماجد فخري: ١٩٦٠، ص٩١). ويتابع ابن رشد ارسطو الذي وضـع بدلا من مصـطلحي الوجود واللاوجود، مصـطلحي القوة والفعل، فالقوة هي بمثابة اللاوجود بينما الفعل يعد بمثابة الوجود. وهكذا يحل ابن رشد هذا الاشكال الذي يخص تفسير عملية الخلق والايجاد، متبنيا رأي استاذه الذي كان يؤكد على ان "الصـيرورة" ماهي إلا عملية التحول من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل، والعكس صحيح.( ابن رشد:١٩٦٧،ج٣،ص١٤٣٩). فكل متغير إنما يتغير من شيء الى شيء وعن شيء، فأما الذي عنه يتغير فهو المحرك، وأما ما إليه يتحرك فهو الصـورة. فلو كانت الصـورة تتكون لكانت مركبة من مادة وصورة لأنها كانت تتغير من شيء وإلى شيء وكانت الصورة لها صورة ويمر الأمر إلى ما لانهاية وهذا محال، وينطبق هذا الحال على المادة. ( ابن رشـد:١٩٦٧،ج٢،ص٨٦٣). وبهذا يرى ابن رشد ان الفعل والقوة انما يستمدان وجودهما من المعنى الوجودي للطبيعة.

ومن هنا كانت الوحدة التي تسري في جسم العالم والتي هي مصدر التكامل والتناسب بين أجزاء هذا العالم. فالجســـم الأزلي عند ابن رشـــد ليس فيه إمكان للعدم ولا للفســـاد.(ابن رشـــد: الســـماء والعالم،١٣٦٥،ص٣٥).

ذلك أن المتكون عند ابن رشد، فاسد ضرورة فلا يمكن للمتكون أن يبقى أزليا، لان كل فاسد فهو متكون، كذلك كل متكون فهو فاسـد ضـرورة. أما الأزلي فلا يمكن أن يفسـد، لأنه ليس فيه قوة على العدم، وهكذا يثبت ابن رشد ازلية العالم. كذلك الجرم السماوي فهو أيضا ليس فيه قوة على الفساد، لا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

في كله ولا في جزئه. اما الأجسام البسيطة فان في اجزائها قوة على الفساد، اما هي فليس فيها قوة على الفساد. لهذا يرى ابن رشد: ان القوة تقال على معان كثيرة فمنها القوة التي في الجوهر والتي في الاستحالة، والتي في الاين. لكن الجرم السماوي ليس له من القوى الا القوة في المكان، والجرم السماوي حركته متناهية وانه لا يسكن، لأنه لا يتحرك بقوة معينة، بل ان حركته انما تكون بقوة ليست في موضوع ، وهو ليس فيه قوة منقسمة بانقسام الجسم اي صورة هيولانية، لأنه لو كان كذلك لكانت توجد فيه المادة التي هي بالقوة، وقد تبين أنه لا يوجد شيء ازلي فيه قوة على الفساد. (ابن رشد: التفسير، ١٩٦٧،ج٣،ص١٤٤٧).

وبهذا يشمل التغير عند ابن رشد كل الأشياء التي تكونت من مادة، اي التي لها مادة، ومن هنا اختلفت الجواهر السرمدية الازلية عن الاخرى الكائنة الفاسدة وهذا الاختلاف لم يشملها من ناحية تكونها ماهيتها بل شمل أيضا الحركة.(ابن رشد: التفسير،١٩٦٧،ج٣،ص١٥٢٩).

يشرح ابن رشد ذلك فيقول: أن ارسطو عندما قال بان السبب الهيولاني هو لجميعها. لم يقصد سوى ان هذا السبب المادي هو خارج عن كل الأسباب الأخرى سواء الصورية او الغائية. ( ابن رشد: التفسير، ١٩٦٧،ص١٥٢٩). فأرسطو حسب تفسير ابن رشد يفرق بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل، فالمادة التي بالقوة هي التي تكون للأجسام المتكونة الفاسدة، اما المادة التي بالفعل فتكون للأشياء التي لها انتقال، وهذا ينطبق على الأجسام المنقسمة، أي المتكونة من مادة وصورة ، لهذا فان كل ما كان "بالقوة" فهو للأجسام الكائنة الفاسدة وكل ما كان "بالفعل" فهو للأجسام الكائنة غير الفاسدة. (ابن رشد:التفسير،١٩٦٧،ج٣،ص١٤٤٦).

## المبحث الرابع: مبدا ما بالقوة "الهيولى" وامكانية تمثل الصورة

اتضح لنا فيما سبق ان علية الهيولى هي علة انفعال، لان الشيء في حالة الانفعال هو الشيء الذي لم يحصل بعد على صورته ويتحقق، أي أنه الشيء غير المتعين بعد او يكتمل. وبهذا تكون الهيولى هي الموضوع والمكان الذي تتعاقب عليه الصور ليتحقق ويكتمل. (ابن رشد:التفسير،١٩٦٧،ج١،ص٨١).

لهذا يرى ابن رشد ان مفهوم الهيولى لم يكن واضحا عند الاوائل، لانهم منقسمون الى اتجاهين: الاول يرى ان مبدأ الاشياء واحد، والثاني الذي يراه اكثر من واحد.

وابن رشد يوضح السبب في هذا الاعتقاد هو انهم جعلوا المبدأ الذي تتكون منه الاشياء أحد العناصر الاربعة. لكن هذه العناصر كائنة فاسدة، بينما الهيولى لا تكون ولا تفسد. أما الصنف الثاني فقد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

أضـــافوا الى المبدأ الأول "الهيولى" علة فاعلة وموجبة. ( الجابري: نحن والتراث،١٩٨٠،ص١٤٠). وثمة شيء آخر يلاحظه ابن رشد هو ان المادة ليست هي سبب تكون الاشياء نتيجة لتغيرها وانفعالها لعدة صـور، لان الانفعال من الخواص التي تتعلق بالمادة، في حين الفعل يختص بالفاعل فقط. (ابن رشد: التهافت،١٩٩٤،ج١،ص٢٧٩).

ويقدم لنا ابن رشد السبب فيما ذهب اليه، فيرى ان الهيولى غير محددة وهي بالقوة، تحديدها يتم عن طريق الصورة التي تظهرها الى الوجود بالفعل .

وهكذا، فإن الهيولى بحاجة مسـتمرة الى الصـورة، وان خاصـيتها القبول فقط ، أي لا صـنع لها في خصـوصـية وجود أي صـورة. فالهيولى لا تكفي في ان يكون الشـيء موجودا بالفعل، إذ انها تفيد قوة الوجود فحسب. أما الصورة فهي التي تجعله بالفعل.(ابن رشد: تلخيص السياسة،١٩٩٥،ص١٥٢). فالخشـب مثلا إذا وجد كان للكرسـي كون بالقوة، ولكن كونه بالفعل مسـتفاد من صـورته عن طريق الفاعل الذي حرك الخشب الى ان اصبح على هيئة صورة الكرسي .

هذا يعني ان مفهوم الهيولى له علاقة بأكثر من مجال معرفي، إذ أنه يضـــرب بجذوره في النفس، والعلم الطبيعي الا انه في ما بعد الطبيعة يكتســب أهمية خاصــة، لان ما بعد الطبيعة ينقســم الى قسمين هما الجواهر والاعراض.

واذا كان تعريف الجوهر " بأنه ما لا يحل في موضـوع ، أي الذي ليس هو في موضـوع" ، فإن هذا التعريف يؤدي بنا الى القول بأن الهيولى هي ايضا جوهر، لان الهيولى تتعاقب عليها الصور، ولا توجد في موضـــوع، أي انها مما ينطبق عليه انه " ما لا يحل في موضـــوع "، وهذا هو تعريف الجوهر.(ابن رشـد: تلخيص ما بعد الطبيعة،١٩٥٧،ص١١). فالواجب ان يكون الجسـم انما صـار جســما بالهيولى، لأن ما صـــار به الجوهر جوهرا فهو جوهر، وهنا يميز ابن رشـــد بين نوعين من المادة:

١- المادة الاولى وهي الموضـوع الاقصـى الاسـاسـي ، وهي التي توجد بالقوة وليس فيها شـيء من الفعـل ولا توجـد بـاي صـــورة، بـل هي في طور القوة والإمكـان. (ابن رشـــد: السـمـاع الطبيعي،١٣٦٥هـ،ص٢٧). ولهذا يدعوها ابن رشـــد بالهيولى الاولى، إذ أنها المادة الاولى التي لا توجد بالصورة، والامكان والقوة ليسا في جوهرها بل هي الموضوع فقط. (الخضيري:١٩٨٥،ص٢٣٦).

٢- الهيولى الموضـوع القريب، وهي التي توجد بالفعل وتختص بالصـورة. وهي بهذا الوصـف تسـمى المادة، وصنف موضوع لسائر الامكانات الاخرى، وهو الموضوع. (ابن رشد:١٩٥٧،ص٣٠).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

كما يميز ابن رشد بين المادة المحسوسة، المادة الطبيعية ما في الاعيان، والمادة المعقولة ما في الاذهان. لهذا يرى ابن رشد ان التغير يشمل جميع الاشياء التي تكون من مادة، ومن هنا اختلفت الجواهر السرمدية الازلية عن الاخرى الكائنة الفاسدة. (ابن رشد: ١٩٥٧،ص٧٠). وهنا يتابع ابن رشد ارسطو في ان السبب الهيولاني هو الاول لجميعها. فيرى: ان ارسطو يقصد ان هذا السبب المادي هو خارج عن كل الاسباب الاخرى سواء كانت صورية او غائية، هذا الى ان ارسطو فرق بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل ، فالمادة انما تكون بالقوة، اما المادة التي بالفعل فتكون للاشياء التي لها انتقال في المكان، وهذا ينطبق على الاجسام المنقسمة، أي المتكونة من مادة وصورة اما الاجرام السماوية التي لا تتركب من مادة وصورة فانها غير منقسمة ابدا.(ابن رشد:التفسير،١٩٦٧،ج٢،ص١٠٧٨). وهذا يعتبر من اهم الادلة على أن ابن رشد يميز بين الاجسام الكائنة الفاسدة والازلية الابدية عن طريق قبلية الامكان والتحول الموجودة في القوة.

لهذا يرى ابن رشد ان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل مهم جدا لفهم المادة وامكانات فعلها الذي يقصد التحقق.

بهذا يكون قد اتضح لنا تمام الوضوح ماذا يعني ابن رشد بالمادة التي بالقوة وطبيعة وجودها، فالمادة وجودها بالفعل.

وهذه القاعدة تفرض نفسها على سائر انواع الوجود . فما الوجود إلا صيرورة وانتقال بين الفعل والقوة. ولكن كيف يتم إنتقال الموجود من القوة الى الفعل ؟ يرى ابن رشد انه لابد من فعل ينقل الموجود من حال القوة الى حال التحقق "الوجود بالفعل". معنى هذا ان أهم ما يمكن ان يعرض للمادة هو انها تخضع لفعل وتتلبس بالصورة الملائمة لها. (ابن رشد:١٩٥٧،ص٩٦). وعليه فان الشيء بسبب طبيعته المادية له وجود بالقوة يجعله قابلا ومنفعلا للوجود بالفعل. نوضح ذلك بالقول بأننا إذا رجعنا الى دراسة ابن رشد لمبادئ الاجسام الطبيعية، وجدناه يقول بأنها تتركب من شيء بالقوة هو المادة، وشيء بالفعل هو الصورة ؛ ولكنه في هذا المجال يقرر أن القوة تقبل الصورة التي اعدت المادة لقبولها، لذلك فان الصورة هي التي تفعل فعلها في الشيء وتجعل وجوده بالفعل بعدما كان وجودا بالقوة.(ابن رشد: ١٩٩٥،ص١٥٢). وهنا تكون الصورة هي الغاية التي يسعى اليها الشيء. وعلى هذا فان الصورة عند ابن رشد هي سبب جميع النقلات والتغيرات التي تطرأ على المادة. واذا كان ابن رشد يرى: ان الفاعل إنما يفعل المركب من المادة والصورة، وذلك بان يحرك المادة ويغيرها حتى يخرج ما فيها من القوة الى الفعل. فهذا يعني ان المادة تحتوي بالقوة على الصورة ، وان جميع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

الصـــور هي موجودة بالقوة في المادة الاولى.(الجابري:١٩٩٩،ص١٩٣). وهذه النتيجة تؤدي الى نتيجة اخرى ، وهي ان الصـورة لا يعتريها كون ولا فسـاد إلا بالعرض ، فهي باقية في المادة كوجود بالقوة . بذلك يكون ابن رشد قد فسر التغيرات الكونية بانها مجرد اجتماع وافتراق بين المادة والصورة . ولغرض اسـتكمال ايضـاح فهم الصـورة عند ابن رشـد ، لابد من القول ان هناك تدرجاً للصـورة كالتدرج الحاصل في الهيولى، فهي درجات فوق بعض، ويحدد هذا التدرج مقدار او نصيب كل صورة من الهيولى، إذ ان هناك صورا بدون هيولى وهي صورة الصور وغاية الغايات، ثم صورة العناصر الاربعة التي لا توجد الا مع اتحادها بالهيولى، وبين الصورة الاولى وهذه الصور، صور لا حصر لها تمثل مداد الوجود .(ابن رشد:التهافت،١٩٩٤، ص٥٦).

فالذي يتغير هو الصـورة واما الذي يبقى ثابتاً في الحالين فهو الهيولى أو الحامل ولو فرضـنا ان الهيولى بقيت بدون صـورة بعد فناء الصـورة فأنها سـتفنى لان الهيولى لا وجود لها بذاتها أي بدون الصـورة. أما المتكلمون فقد انتهى بعضـهم الى القول بأن الصـورة او الاعراض تفنى بموادها لأنها لا تبقى بدون صورة .

ولكي يرفع ابن رشد هذا الالتباس يشير إلى ان الهيولى المقصودة هنا هي الشيء الموجـود المتحقق. (ابن رشـد: التفسـير،١٩٦٧،ج٢،ص٩٧٦). فالفاعل يمنح الهيولى امكانية حتى يتم انتقالها من القوة الى الفعل.

وعلى هذا فكل موجود يحمل في طياته، الفسـاد بالقوة، وليس على الفاعل سـوى اخراج هذه القوة الى الفعل، وهكذا فإنه لا بد من قيام الامرين، القوة بمعنى الهيولى والفاعل، فإذا لم يكن احدهما لم يكن شـــيء ابدا. فالهيولى تمثل قابلية التلقي والاســتعداد والامكان الذي لابد ان ينتقل الى التحقق بالفعل ولكن هذا الانتقال لا يتم الا بشروط تمس الهيولى ومبدا ما بالقوة. (رينان: ١٩٥٧،ص١٢٦). فمن المعلوم ان التغير عند ابن رشـــد، اثنان تغير في العرض وتغير في الجوهر، فالذي في العرض يفتقر الى موضـــوع يجري عليه التغير وهو الهيولى، كذلك التغير في الجوهر هو الآخر بحاجة الى موضوع، لأنه لا شيء يكون من لا شيء. فأما الذي عنه يتغير فهو الفاعل، واما ما منه يتغير فهو الهيولى. وعلى ذلك تكون الهيولى مبدأ ما بالقوة، أي انها الموضـــوع ومنها يبتدئ الشـــيء بالتكون وصولا الى التحقق. فهي علة لكن عليتها علة انفعال، لان الشـيء المنفعل هو الشـيء المتعين.( ابن رشـد:التفسـير،١٩٦٧، ص٣٩). وابن رشـد هنا، يحدد اقسـام الهيولى. فالهيولى الاولى تقبل الصـورة الاولى بغير اسـتحالة وفسـاد، واما الهيولى الثانية فإنها لا تقبل الصـورة إلا باسـتحالة وفسـاد، لان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الشـــيء الكائن من علة فاعلة يســتحيل ويفســد بســبب احتوائه على الهيولى. (ابن رشــد: التهافت، ١٩٩٥، ج١،ص٤١٤). ولذلك فان جميع الاشـــياء التي تتغير لها مادة ولكن تختلف طبائع المواد بحسب اصنافها. إذ ان الاشياء السرمدية مادتها مختلفة عن مادة الاشياء الفاسدة. ومن هنا يظهر ان الجسم السماوي ليس فيه قوة منقسمة بانقسام الجسم، أي قوة هيولية. (ابن رشد: التلخيص، ١٩٥٧، ص٩٢). لأنه لو كان كذلك لكانت توجد فيه المادة التي هي بالقوة.

والنتيجة عند ابن رشـــد هي ان الهيولى تمثل القوة والامكانية، بمعنى القابل الذي يقبل صـــورا واشكالا متعددة بغية طلب التحقق والكمال .

فهو يستخدم فرض القوة والفعل، الذي كثيرا ما استخدمه ليبين ان إمكان وجود الشيء، ووجوده متقابلان.

وإذا كان ابن رشد قد أوضح لنا الصلة بين الأعراض والجواهر، فإنه ينتقل الى بيان احكام هذه الصـــلة ، ويذهب الى ان العدم والذي هو ما بالقوة لا يعني اللاوجود، بل يعني اللامتحقق . (العبيدي:١٩٩٥،ص١٤٥).

لذلك يذهب الى ان العدم، إذا كان كونه ووجوده ليس وجودا له ذات وحاصـــلة بنفســـها، بل كان وجوده بالعرض لأنه عدم شـــيء معين في شـــيء معين هو الذي فيه قوته، فيكون له نحو من الكون بالعرض. فكونه هو فساد الصورة عن المادة، فيحصل عدم بهذه الصفة، وفساده هو حصول الصورة، فلا يكون العدم إذن بهذه الصفة موجودا.

فالحقيقة عند ابن رشـــد هي ان العدم مرتبط بالهيولى، وهذا الارتباط ناتج عن مميزات الهيولى نفسها التي هي القوة والاستعداد.(ابن رشد: الكون والفساد، ١٣٦٥،ص٦). هذه النتيجة تقودنا الى ان هذا الاستعداد أو القوة موجودة حتى في العقل؛ لذلك فقد اخطأ " انكسيمندر" عندما قال ان طبيعة ما بالقوة الموجودة في الهيولى هي طبيعة متوسطة بين الاشياء التي بالفعل . (فخري:١٩٦٠،ص٦٨).

وهكذا يعرض ابن رشد لكثير من المذاهب التي حاولت تفسير الوجود تفسيرا يعد مخطأ عنده، مهتما ببيان عنصر القوة في الموجودات ، ومؤكدا على ان الموجود بالقوة في جميع الاشياء هو السبب في ان لا ينقطع الكون فيها.

هذا فضلا عن ان ابن رشد يرى ان فكرة العدم لا تتضح الا من خلال صفات القوة. بمعنى آخر ان الذي لا قوة له على الشيء لا يكون منه ذلك الشيء مطلقا.

هكذا ايضا نجد ان ابن رشد يجوز فكرة العدم بمعنى الوجود بالقوة والاستعداد.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الى هذا الحد يؤكد ابن رشد استحالة الخلق من العدم، والذي هو برايه وجود كامن بصفة القوة؛ ذلك ان العدم المحض بمعنى " اللاشـــيء " ليس لـه وجود ، بـل لا يمكن تصـــوره. (ابن رشـــد: التفسير،١٩٦٧،ج٣،ص١٥٠٤).

وبهذا يكون العدم كما يراه ابن رشد ما هو الا استكمال للموجود ، هذا الاستكمال يفهم من خلاله عملية الانتقال من القوة الى الفعل. طالمـــا أن الوجود باسره ما هو إلا صيرورة من كمون واستعداد الى فعل التحقق .

## الخاتمة:

كانت الإشكالية الأساسية في هذا البحث، محاولة تحديد مفهوم القوة واليات التحقق من مسار مبادئ الطبيعة في فكر ابن رشد، وتوصلنا إلى العديد من المفاهيم الطبيعية، والتي أعطتنا في النهاية صـورة واضـحة لفلسـفة الوجود. وكان لابد علينا لتحقيق هذه الغاية أن نتتبع مسـيرة فكرة الامكانية والتحقق.

فمن خلال نظريته في القوة وما يتعاقب عليها من نظام نجده يعبر عن الطبيعة بشـكل فلسـفي يرقى الى التفسير.

لقد توصلنا من خلال هذا البحث المتواضع الى عدة نتائج، اهمها:

١- قدم ابن رشد فلسفة كونية يتضح من خلالها اساسيات عمل الطبيعة. وهذه المفاهيم هي القوة والفعل وما يتزامن معهما من لحظات العدم والوجود.

٢- ارتباط مبادي الطبيعة باصول ما بعد الطبيعة. ويظهر ذلك في نظرية الاتصال والتكامل والتحقق بين القوة والفعل.

٣- تأكيده على الغائية في نظام الكون، اذ يجعل ابن رشد للغائية مكانة موازية لمكانه السببية وعمل مبادئها.

٤- استقلاله عن المذهب الأرسطي نوعا ما، ومن هنا فهو يقدم حل الاشكال الموجودة في نظرية امكانية القوة وتحقق الفعل وامكانية العدم والخلاء.

٥- يحلل ابن رشد حقيقة الوجود ويرى انه عبارة عن انتقال بين الفعل المحض والقوة المحضة، وانه لابد من فعل ينقل الموجود من حال القوة الى حال الفعل .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

٦- يفسر ابن رشد منظومة الخلق على أساس ان هناك حقا وجودا ولا وجودا ، ولكن اللاوجود هنا ليس معناه العدم المطلق، وانما معناه إمكان الوجود للشيء الذي سيوجد فيما بعد . فيفرق إذن بين شيئين رئيسيين هما المقولتان الرئيسيتان اللتان بهما يفسر الكون والفساد، ونعني بهما القوة والفعل .

٧- ان العلاقة بين القوة والفعل هي علاقة وجودية، وهذه العلاقة انما تتم عن طريق التحقق والتكامل. بمعنى ان الفعل والقوة انما يستمدان وجودهما من التواصل والانفصال في الوقت ذاته الذي يمكنان فيه من تحديدها.

٨- ان مبدأ تقدم الفعل على القوة عند ابن رشد معناه ان الاشياء لا يمكنها ان توجد من ذاتها من غير سبب فاعل. خاصة ان ديمومة الكون التي يؤمن بها ابن رشد تتطلب وجود هذا السبب الذي ليس فيه قوة ابدا وهو بالفعل دائما .

٩- المادة وحدها تحمل كل إمكانيات الوجود وتتكفل القوة المتحكمة في الفعل إعطاء هذا الوجود قوامه ومعناه.

١٠- ان الفاعل هو الذي يمنح الهيولى قوامها الوجودي حتى يتم انتقالها من القوة الى الفعل، والفاعل حسب هذا الرأي لا يقوم سوى بنقل القوة الى الفعل. فالخلق ما هو الا هذا التحول والتحقق، ومجال هذه التحقق هو الهيولى المتصفة بقابلية التلقي والقبول والقوة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على النسق الفلسفي الذي تنطوي تحته كل الجوانب التي بحثها ابن رشد.

١١- المادة هي القابل للتحقق لا الصورة، فهي تقبل الضدين "الصورة والعدم" على التعاقب، ولا يجوز اجتماعهما فيها. فاذا قبلت الصورة زال العدم، واذا قبلت العدم زالت الصورة .

١٢- العدم هو استكمال للموجود وتحقق في حالة انتقاله من القوة الى الفعل. وهذه نتيجة مهمة وصل اليها ابن رشد مسوغا القول بالعدم.

١٣- ان بحث ابن رشد يتركز اساسا على تفرقته بين القوة المطلقة والفعل التام، أي بين الكمال المحض والامكان، كمال يحفظ ما هو بالقوة ولا يوجد الا بوجود القوة مقترنة به.

## المصادر والمراجع

1. **ابن باجة، ابو بكر الصائغ:**

**١٩٨٧ ، شروحات السماع الطبيعي، تحقيق وتقديم معن زيادة ، دار الفكر ، بيروت.**

2. **ابن رشد:**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

-١٩٦٧، تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق موريس بويج، ثلاثة اجزاء، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت .
-١٣٦٥ هـ ، تلخيص الآثار العلوية ، حيدر اباد.
-، ١٩٨٣م، تلخيص السماء والعالم، تحقيق جوزيف بويج، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد.
-١٩٥٨، تلخيص ما بعد الطبيعة ، تحقيق عثمان أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة.
-١٩٥٠، تلخيص كتاب النفس ، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، ط١، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
-١٩٩١، تلخيص كتاب المقولات، تحقيق محمود قاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
-١٩٦٤، تهافت التهافت، جزائين ، تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة .
-١٩٩٩، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
-تلخيص السياسة لافلاطون، نقله الى العربية حسن مجيد العبيدي، وفاطمة الذهبي، دار الطليعة، بيروت.
-تلخيص كتاب الحس والمحسوس لارسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ضمن (كتاب ارسطوطاليس في النفس) ، دار القلم، بيروت.
-١٩٥٠رسالة الاتصال، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، ضمن ( تلخيص كتاب النفس لابن رشد) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

**3. ابن سينا :**

- ١٣٧٥هـ، الاشارات والتنبيهات ، ج٢ ، نشرة قم ، طهران .
- ١٩٨٣، الشفاء ( السماع الطبيعي) ، تحقيق سعيد زايد ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب .

**4. ابن طفيل**

**١٩٨٠ ،، حي بن يقظان، نشرة فاروق سعيد، الطبعة الثالثة، بيروت.**

**5. ابو ريان ، محمد علي :**

**١٩٧٦ ،تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت .**

**6. ارسطو :**

-١٩٦٥، الطبيعة، الترجمة العربية القديمة لاسحق بن حنين، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة.
- ١٩٦٢، النفس، نقله الى العربية احمد فؤاد الاهواني وراجعه الاب قنواتي، الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة .

**7. بيصار ، محمد :**

**١٩٧٣ ،، في فلسفة ابن رشد ( الوجود والخلود ) ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .**

**8. الجابري ، محمد عابد :**

**٢٠٠١،، ابن رشد ( سيرة وفكر ) ،ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت**

**9. رينان ، ارنست :**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد السابع
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

١٩٥٧، ، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، القاهرة

10. العبيدي ، حسن مجيد :

- ١٩٩٥، العلوم الطبيعية في فلسفة ابن رشد ، دار الطليعة ، بيروت .

11. فخري ، ماجد :

- ١٩٦٠، ابن رشد فيلسوف قرطبة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية